Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعربيتها الأصيلة، وإنها نبعت من الصدور العربية، لأنها من ضرورات الملك واستبحار العمران، فضلاً عن طابعها الموجز الذي هو من سمات الأساليب السامية لا الآرية المطنبة، والأمثال الجاهلية المأثورة تنطق بهذا، وتؤيد ما ذهبنا إليه من تقرير أصالتها العربية. . . . أليست هذه الأمثال ضرباً من «التوقيعات» وإن لم تكن محبرة؟

أما ظاهرة «الإطناب» في تلك الرسائل، فكانت تتجلى في «المنشورات العامة» والعهود المختلفة، ورسائل الخميس، وغير ذلك من المواقف التي تتطلب الإفاضة؛ فالمنشورات كانت تقرأ على الملأ، وتذاع في شتى البقاع، متضمنة أمراً هاماً، أو قراراً عاماً: سياسياً كان أم دينياً، وكتب العهود كانت تتضمن العهد بالإمارة أو القيادة أو القضاء، وكلها تشير الى مهام الأمور التي سيضطلعون بها، والآمال المعلقة عليهم فيما فيه خير البلاد والعباد.

صاحب الديوان ومنزلته:

رئيس الديوان هو كاتم سر الخليفة، ومن ثم كانت مرتبته ـ كما يقول القلقشندي[1] ـ أرفع مرتبة، ومحله أعظم محل، إليه تلقى أسرار المملكة وخفاياها، وبرأيه يستضاء في مشكلاتها، وعلى تدبيره يعول في مهماتها، وإليه ترد المكاتبات، وعنه تصدر، ومن ديوانه تكتب [إلى] الولايات السلطانية كافة، ويقوم توقيعه على القصص في نفوذ الأوامر مقام توقيع السلطان وجميع ما يعلّم عليه السلطان. . . وناهيك بذلك رفعة، وشرفاً باذخاً»[1].

قال صاحب مواد البيان: «ليس في منزلة خدم السلطان والمتصرفين في مهماته أخص من كاتب الرسائل؛ فإنه أول داخل على الملك، وآخر خارج عنه، ولا غنى له عن مفاوضته في آرائه، والافضاء إليه بمهماته، وتقريبه من نفسه في آناء ليله، وساعات نهاره، وأوقات ظهوره للعامة، وخلواته واطلاعه على حوادث دولته ومهمات مملكته، فهو بذلك لا يثق بأحد من خاصته ثقته به، ولا يركن إلى قريب أو نسيب ركونه إليه»[2].

---

(١) صبح الأعشى جـ ١/١٠٢.

(٢) المرجع السابق/١٠١.